

مختصر ابن كثير

- 50 - قل لا أقول لكم عندي خزائن ا [] ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون .
- 51 - وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلمهم يتقون .
- 52 - ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين .
- 53 - وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من ا [] عليهم من بيننا أليس ا [] بأعلم بالشاكرين .
- 54 - وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم .
- يقول ا [] تعالى لرسوله صلى ا [] عليه وسلّم : { قل لا أقول لكم عندي خزائن ا [] } أي لست أملكها ولا أتصرف فيها { ولا أعلم الغيب } أي ولا أقول لكم إنني أعلم الغيب إنما ذاك من علم ا [] D ولا أطلع منه إلا على ما أطلعني عليه { ولا أقول لكم إنني ملك } أي ولا أدعي أنني ملك إنما أنا بشر من البشر يوحى إلي من ا [] D شرفني بذلك وأنعم علي به ولهذا قال : { إن أتبع إلا ما يوحى إلي } أي لست أخرج عنه قيد شبر ولا أدنى منه { قل هل يستوي الأعمى والبصير } أي هل يستوي من اتبع الحق وهدى إليه ومن ضل عنه فلم ينقد له { أفلا تتفكرون } ؟ وهذه كقوله تعالى : { أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب } وقوله : { وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع } أي وأنذر بهذا القرآن يا محمد { الذين هم من خشية ربهم مشفقون } { الذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب } { الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم } أي يوم القيامة { ليس لهم } أي يومئذ { من دونه ولي ولا شفيع } أي لا قريب لهم ولا شفيع فيهم من عذابه إن أرادهم { لعلمهم يتقون } أي أنذر هذا اليوم الذي لا حاكم فيه إلا ا [] D { لعلمهم يتقون } فيعملون في هذه الدار عملا ينجيهم ا [] به يوم القيامة من عذابه ويضاعف لهم به الجزيل من ثوابه وقوله تعالى : { ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه } أي لا تبعد هؤلاء المتصفين بهذه الصفات عنك بل اجعلهم جلساءك وأخصاءك كقوله : { واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا } وقوله : { يدعون

ربهم { أي يعبدونه ويسألونه { بالغداة والعشي } قال سعيد ابن المسيب : المراد به الصلاة المكتوبة (وهو قول مجاهد والحسن وقتادة) وهذا كقوله : { وقال ربكم ادعوني أستجب لكم { أي أتقبل منكم وقوله : { يريدون وجهه } أي يريدون بذلك العمل وجهه [الكريم وهم مخلصون فيما هم فيه من العبادات والطاعات وقوله : { ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء } كقول نوح عليه السلام في جواب الذين قالوا : { أنؤمن لك واتبعك الأردلون } { وما علمي بما كانوا يعملون إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون } أي إنما حسابهم على [D وليس علي من حسابهم من شيء كما أنه ليس عليهم من حسابي من شيء وقوله : { فتطردهم فتكون من الظالمين } أي إن فعلت هذا والحالة هذه .

روى ابن جرير عن ابن مسعود قال : مر الملاء من قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وبلال وعمار وخباب وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد : أرضيت بهؤلاء من قومك ؟ أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا ؟ نحن نصير تبعاً لهؤلاء ؟ اطردهم فلعلك إن طردتهم نتبعك فنزلت هذه الآية : { ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه } وكذلك فتنا بعضهم ببعض { إلى آخر الآية وقال ابن أبي حاتم عن خباب في قول الله D : { ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي } قال : جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعداً في ناس من الضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم حول النبي صلى الله عليه وسلم حقروهم في نفر من أصحابه فأتوه فخلوا به وقالوا : إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العرب فضلنا : فإن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت . قال : " نعم " قالوا : فاكتب لنا عليك كتاباً قال : فدعا بصحيفة ودعا علياً ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل جبريل فقال : { ولا تطرد الذين يدعون ربهم } الآية فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصحيفة من يده ثم دعانا فأتيناه (أخرجه ابن أبي حاتم ورواه ابن جرير أيضاً من حدث أسباط بن نصر) وقال سعد نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم ابن مسعود قال : كنا نستبق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وندنو منه فقالت قريش : تدني هؤلاء دوننا فنزلت : { ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي } (رواه الحاكم في المستدرک وقال : على شرط الشيخين وأخرجه ابن حبان في صحيحه) وقوله تعالى : { وكذلك فتنا بعضهم ببعض } أي ابتلينا واختبرنا وامتحنا بعضهم ببعض { ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا } وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غالباً من اتبعه في أول بعثته ضعفاء الناس من الرجال والنساء والعبيد والإماء ولم يتبعه من الأشراف إلا قليل كما قال نوح لنوح : { وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي } الآية وكما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان حين

سأله عن تلك المسائل فقال له فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ فقال : بل ضعفاؤهم فقال : هم أتباع الرسل والغرض أن مشركي قريش كانوا يسخرون بمن آمن من ضعفائهم ويعذبون من يقدرون عليه منهم وكانوا يقولون : أهؤلاء من اﷻ عليهم من بيننا ؟ أي ما كان اﷻ ليهدى هؤلاء إلى الخير لو كان ما صاروا إليه خيرا ويدعنا كقولهم : { لو كان خيرا ما سبقونا إليه } وكقوله تعالى : { وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا } قال اﷻ تعالى في جواب ذلك : { وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورثيا } وقال في جوابهم حين قالوا : { أهؤلاء من اﷻ عليهم من بيننا } { أليس اﷻ بأعلم بالشاكرين } ؟ أي أليس هو أعلم بالشاكرين له بأقوالهم وأفعالهم وضمائيرهم فيوقفهم ويهديهم سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم كما قال تعالى : { والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن اﷻ لمع المحسنين } وفي الحديث الصحيح : " إن اﷻ لا ينظر إلى صوركم ولا إلى ألوانكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم " (أخرجه مسلم بلفظ : " إن اﷻ لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم . . " الحديث .) .

وقوله تعالى : { وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم } أي فأكرمهم برد السلام عليهم وبشرهم برحمة اﷻ الواسعة الشاملة لهم ولهذا قال : { كتب ربكم على نفسه الرحمة } أي أوجبها على نفسه الكريمة تفضلا منه وإحسانا وامتنانا { أنه من عمل منكم سوءا بجهالة } قال بعض السلف : كل من عصى اﷻ فهو جاهل وقال بعضهم : الدنيا كلها جهالة : { ثم تاب من بعده وأصلح } أي رجع عما كان عليه من المعاصي وأقلع وعزم على أن لا يعود وأصلح العمل في المستقبل { فإنه غفور رحيم } قال الإمام أحمد عن أبي هريرة قال قال رسول اﷻ صلى اﷻ عليه وسلّم : " لما قضى اﷻ على الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي " . أخرجاه في الصحيحين